الفصل السابع

بناء (الهيكل الثالث):
نحو حرب أصولية مقدسة

يُشَكِّلُ الصراع حول قضية «هدم المسجد الأقصى» وبناء «الهيكل الثالث» محله، واحدة من قضايا الصراع الرئيسية بين الدين والدولة، أو السلطة الدينية والأصولية من جهة، والسلطة الدنيوية، أو العلمانية (الصهيونية السياسية) من جهة أخرى، التى تتفاعل تأثيراتها بشدة داخل إسرائيل وخارجها.

وهى قضية شديدة الأهمية ـ فى انعكاساتها المباشرة ـ على أوطاننا، لما يُشَكِّلُهُ هذا الموقع الفريد، الذى يدور حوله الصراع، من أهمية قصوى لمقدسات أتباع الديانات الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام.

وتمثل هذه القضية معضلة مثلثة الأبعاد، أطرافها: الصهيونية السياسية (المحلية والعالمية)، ثم الأصولية اليهودية، من جهة، والعرب من جهة أخرى.

والعلاقة بشأن هذا الأمر بين الطرفين الأولين (اليهود الإسرائيليين)، هى علاقة وحدة وصراع بين أطراف معسكر واحد، أما العلاقة بينهم وبين الطرف الثالث فهى علاقة تناقض استراتيجى، عدائى، حَلَّهُ لن يكون بالسهل اليسير، وقد يُفَجِّرُ دوامة من التوترات والتفجرات، التى لا قِبَلَ لأحدٍ على توقع مجرياتها أو نتائجها.

وجوهر الأزمة تتمثل فى أن القوى الأصولية اليهودية تستهدف هدم المسجد الأقصى لبناء «الهيكل الثالث» مكانه، بزعم أن المسجد بُنى فوق أنقاض الهيكل، وفى نفس موقعه، وهى ترى فى هذا الأمر مسألة محورية فى توجهاتها، فهى أساس من أسس معتقداتها التوراتية، لا سبيل إلى

تجاوزه، ولا مهرب من تنفيذه، أو مخرج للتحلل من الالتزام به.. إنها قضية مركزية جوهرية بالنسبة إلى التاريخ والشريعة اليهوديين، ملزمة لكل يهودى مؤمن بالتعاليم التوراتية إلزاماً لا يقبل التأجيل: «فلئن كنا من أجل العودة إلى أرض إسرائيل الكاملة، ومن أجل إقامة الدولة، قد استعجلنا قدوم المخلِّص، فيجب علينا، بالمنطق نفسه، أن نبنى الهيكل الآن»(١).

فذلكة تاريخية:

يمثل هيكل سليمان موقعاً مقدساً لدى اليهود يشبه ما لمكَّةَ عند المسلمين. ويقول سفر الملوك الأول: «إنه فى السنة الأربعمائة والثمانين لخروج بنى إسرائيل من أرض مصر، (حوالى سنة ٩٦٠ ق. م)، وفى السنة الرابعة من مُلك سليمان على إسرائيل، وفى شهر «زيو»، وهو الشهر الثانى، بنى «سليمان» البيت للرب، وكان البيت الذى بناه الملك سليمان» للرب ستين ذراعاً طولاً، وعشرين عرضاً، وثلاثين ذراعاً ارتفاعاً» (سفر الملوك الأول ٦: ١ ـ ٣٦).

ثم يصف سفر الملوك مكونات البيت وأحجاره وغرفه وسلالمه.. إلخ، تحقيقاً لـ كلام الرب إلى سليمان»: «هذا البيت الذى أنت بانيه، إن أنت سرت على فرائضى وعملت بأحكامى وحفظت جميع وصاياى، سائراً عليها، فانى أحقق معك كلامى الذى كلمت به «داوود» أباك، وأقيم فيه فى وسط بنى إسرائيل، ولا أترك شعبى إسرائيل» فبنى «سليمان» البيت بأكمله. (سفر الملوك الأول ٦: ١١ ـ ١٤).

وفى قلب البيت تم تهيئة المحراب، قدس الأقداس، حيث حمل الكهنة ـ بحضور شيوخ إسرائيل ـ «تابوت العهد»* وخيمة الموعد (التى نصبها داود

(١) نظر افتتاحية مجلة «نيكوداه» (النقطة ـ Nekuda)، (صوت الأصوليين اليهود المتطرفين)، إسرائيل، عدد سبتمبر ١٩٨٦.

* تابوت العهد: يصف سفر الخروج (٢٥: ١٠ ـ ١٦) بالتفصيل مكونات «تابوت العهد» المصنوع من خشب السنط، المكفّت بالذهب، كما يصف زينته (المستوحاة من تأثيرات فرعونية وبابلية)، حيث توضع داخله الشهادة وهى ترجمة مأخوذة عن «أدوت»

لإيواء التابوت) ووضعوها فيه، ويقول «سفر الملوك» إن التابوت لم يكن فيه إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما فيه موسى، فى حوريب، حيث عاهد الرب بنى إسرائيل، عند خروجهم من أرض مصر (سفر الملوك الأول ٨: ٢٠١)، ثم بعد أن اكتمل بناء الهيكل وتلبيسه بالذهب وخشب الأرز ونُقِلَ تابوت العهد والخيمة إلى محرابه، تقول القصص التاريخية اليهودية أن الله «تسلم هيكله» حين تجسد مجده على هيئة غمام ملأ البيت، حينئذ قال سليمان:

«قال الرب إنه يسكن فى الغيم المظلم

وإنى قد بنيت لك بيت بهاء

مكاناً لسكناك للأبد» (سفر الملوك الأول ٨: ٣).

وفى سفر «الخروج» تفاصيل دقيقة لأثاث الهيكل: ديكوراته، وأدواته ومذبحه، وأقمشته، وزينته، وثياب كهنته، والذبائح المقدمة على أعتابه ومغسلته وأبخرته.. إلخ.

لقد أصبح الهيكل موقعاً مقدساً لدى اليهود، ومركزاً للحكم، ومحطاً للأنظار، حيث بُنى إلى جواره قصر «الملك سليمان» ومبانٍ عمومية أخرى «وهو أمر عادى فى (كيان) لم يجر فيه الفصل بين الدين والدولة آنذاك، حيث الملك نفسه كان هو السلطة الدينية العليا فى البلاد أيضاً»(١).

ويرى «ول ديورانت» فى «قصة الحضارة، جـ١، ص (١٤)،» أن «طراز الهيكل هو الطراز الذى أخذه الفينيقيون عن مصر، وأضافوا إليه عن

= التى تعنى كلمة مصطلح عليها، تدل على بنود المعاهدة المفروضة من السيد الإقطاعى على أمينه، والشهادة هنا هى الوصايا العشر المكتوبة على لوحى حجر، يسميان أحياناً «لوحى الشهادة»، وبناء على ذلك يسمى التابوت «تابوت الشهادة» أيضاً.

انظر «الكتاب المقدس»، كتب الشريعة الخمسة: التكوين ـ الخروج ـ الأحبار ـ العدد ـ تثنية الاشتراع ـ بيروت، دار المشرق ١٩٨٤، ص: ١٩٦.

(١) د. أحمد هيبي، هل يحدث انقلاب عسكري في إسرائيل؟، القاهرة، ستار برس للطباعة، ١٩٩٢، ص: ٨٨.

الآشوريين والبابليين ومن ضروب التزيين».. ثم يضيف أن بناء الهيكل عُدَّ «أهم الأحداث فى ملحمة اليهود، فإنه لم يكن بيتاً ليهوه (اسم الله عند اليهود) فحسب، بل كان أيضاً مركزاً روحياً لليهود، وعاصمة لملكهم، ووسيلة لنقل تراثهم، وذكرى لهم، تتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض، ولقد كان له شأن فى رفع الدين اليهودى من دين بدائى متعددة الآلهة، إلى عقيدة راسخة، غير متسامحة»[1].

وقد دُمِّرَ هيكل سليمان، كما يحكى التاريخ اليهودى، مرتين:

الأولى: حينما «أوعز الله بهدمه (والرب الوثنى القديم كان يغضب ويثور لأتفه الأسباب ـ كما يقول د. أحمد وهيبى)، بعد أن نَقِمَ على «سليمان» لأنه لم يحفظ العهد ويأتى الفرائض المقررة، فلقد قرر الرب معاقبته بتمزيق مملكته على يد ابنه (إلى دولتين هما: «يهودا» التى استمرت تضم القدس والهيكل، و«دولة إسرائيل» إلى الشمال منها)، ثم قرر الرب هدم الهيكل بجريرة أحد أحفاد «سليمان»، وبواسطة «نبوخذ نصر»، الملك الآشورى، «الذى احتل أورشليم وأجلى اليهود عنها وهدم الهيكل بعد ٤٠٠ سنة من بنائه، عام ٥٨٦ ق. م»[2].

وحينما ساد الملك الفارسى «كورش» المنطقة، سمح لليهود بالعودة إلى فلسطين بعد أن احتلها عام ٥٣٩ ق. م، وصرح لهم بإعادة بناء الهيكل واسترجاع أدواته وأجهزته التى أخرجت معه، وصودرت مع المستعبدين اليهود، فى فترة السبى.

وفى عام (٦٦ ـ ٧٣ ميلادية) حدث تمرد ضخم لليهود ضد حكم روما، انتهى بتدمير أورشليم ومعها الهيكل نفسه الذى خُرِّبَ عام ٧٠ ميلادية، وأُبيدَ فى معارك تصفية هذا التمرد نحو ربع السكان اليهود أيضاً، ومن بعد هذه الواقعة المفجعة، والتى تلتها مجزرة أخرى لقمع العصيان الذى قاده

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه، ص: ٩٢.

«سيمون باركوخبا»، (١٣٢ ـ ١٣٥ للميلاد)، وخَلَّفت ما يزيد على نصف المليون من القتلى، وتم تشتيت الكثيرين من جرائها، ترسخ فى الاعتقاد اليهودى ما عَلَّمَهُ لهم الحاخامون المتوجسون من إعادة الكرّة مرة أخرى، بما تستتبعه من ويلات، حيث طرحوا فكرة أن الشعب اليهودى قد أخذت عليه مواثيق مؤكدة بألا «يحسب نهاية الزمان، ولا أن يسعى لتعجيل أجلها، أو أن ينظم العودة الجماعية إلى أرض إسرائيل بالقوة»[١]، وجاءت هذه الأفكار رداً على التصورات التى ربطت بين «باركوخبا» و«المسيح المنتظر»، وبين تمرد الأول وعملية الخلاص المفترض بأن يأتى بها الأخير.. كذلك أشاع الحاخاميون، وانتشرت فى الأوساط اليهودية المتدينة، النظرة التى تقول أن هيكل سليمان المرتقب لن يُبنى على الأرض، وإنما سيهبط من الجنة، أى من السماء كاملاً، مجللاً بالمجد.. ومن هنا كان الرفض الذى ساد الأوساط اليهودية الخالصة التدين للفكر الصهيونى، الذى يسعى إلى اصطناع عملية الخلاص، ولفكرة إعادة بناء الهيكل مادياً فى أرض الواقع، وكان الخلاف المستند إلى هذه المنطلقات أحد الأسباب التى تكمن خلف رفض مواقف الصهيونية، من قِبَلِ بعض المتدينين اليهود، والتى لازالت قائمة حتى الآن.

وكما هو معلوم فإن الأصوليين اليهود يدَّعون أن الموقع الذى كان مقراً لهيكل سليمان هى المنطقة المشيد فيها المسجد الأقصى، ويزعمون أن «حائط البراق» الشهير الذى يؤمن المسلمون أن المحل الذى ربط فيه جبريل براق الرسول ﷺ ليلة معراجه إلى السماء (الحائط الغربى للحرم المقدس) هو جزء أثرى من الهيكل المدمَّر وآخر بقاياه، رغم أن التحقيقات التاريخية، ومنها تلك التى أجرتها لجان التحقيق البريطانية عقب الصدامات الدامية بين العرب واليهود عام ١٩٢٩، خلال ما عرف بـ «هَبَّةِ البراق». قد أثبتت بما لا يدع مجالاً لشك، كذب هذا الادعاء، وتأكدت من أن هذا الحائط ـ الذى يبلغ طوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ قدماً ـ هو ملكية مطلقة للمسلمين، وهو

(١) إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص: ٣٠.

ما أكده تقرير اللجنة الدولية، المشكَّلة بقرار من «عصبة الأمم» عام ١٩٣٠، حيث أقرت استناداً إلى التحقيق، أن «حق ملكية حائط البراق، وحق التصرف فيه، وفى ما جاوره، عائد للمسلمين، وهو ملك للمسلمين لأنه جزء لا يتجزء من الحرم، كما أن الرصيف الذى يحاذى الحائط، إنما أقيم لمرور سكان المنازل الخاصة التى يقيم بها المغاربة، كما ثبت للجنة أن المنطقة التى تحتوى الرصيف المذكور أوقفها على المسلمين الملك «الأفضل بن صلاح الدين» سنة ١١٩١ ميلادية»[١].

نظرية «إعمال يد الله»:

وبعد أن سقطت القدس (عام ١٩٦٧) كاملة فى أيدى الدولة الإسرائيلية، تنامت الدعوات، التى تبناها غلاة الأصوليين اليهود، والتى تبرر عملية إعادة بناء «الهيكل الثالث» دونما انتظار لهبوطه من السماء، فيما أطلقوا عليه نظرية «إعمال يد الله».

وفحوى هذه النظرية هو السعى إلى «توريط» الرب بالدفاع عن (شعبه) «المختار» إذا احتاج الأمر إلى تدخله!، حيث يتبنى هؤلاء تنفيذ المشيئة الإلهية بالقوة، وما دامت مشيئته تستوجب إعادة بناء الهيكل، فإن نسف المسجد، «الكريه»، المشيَّد فى موقع المعبد المقدس، إذا ما أثار ثائرة المسلمين، وقاموا بهجوم قد يعرض وجود إسرائيل للخطر، لن يترك أمام الرب من خيار «سوى التدخل لإنقاذ شعبه ومدينته المقدسة»[٢].

أمر إلهى

ويُسَوِّغُ الأصوليون اليهود هذه العملية استناداً إلى زعم أنهم يستمدون التعليمات والأوامر «مباشرة من الله»، وعلى أساس شعورهم بأنهم مسئولون

(١) مجلة «الشاهد»، قبرص، العدد (١٠٥)، مايو ١٩٩٤.

(٢) ديفيد لنداو، الأصولية اليهودية: العقيدة والقوة، ترجمة مجدى عبد الكريم، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٤، ص ٢٣٩.

مباشرة عن تنفيذ تعليماته، «فيهودا عتسيون»، «الناطق الرسمى باسم «أبرز قطاع فى المنظمات اليهودية الإرهابية السرية»، على حد وصف «إيان لوستيك»، وهو من قدماء مستوطنى «عوفرا»، أحد أقدم مستعمرات «جوش إيمونيم» فى الضفة الغربية، صَرَّحَ أثناء محاكمته على دوره فى الاعتداء على رئيسى البلديتين العربيتين، والكلية الإسلامية، وفى المؤامرة لتفجير «جبل الهيكل»، (موقع المسجد الأقصى وقبة الصخرة)، أنه قد رأى نفسه «مسئولاً» عن تنفيذ أعمال، أعدَّها «بمثابة تطهير لجبل الهيكل، المكان المقدس الوحيد لدى شعب إسرائيل، من البنى القائمة الآن عليه فى موقع قدس الأقداس، المبنى المعروف بقبة الصخرة»(١).

وفى مقالات «مسهبة» نشرها فى مجلة «نيكوداه»، ذهب «عتسيون» إلى أن الأمر الإلهى القاضى بأن يبنى اليهود الهيكل، لا يمكن تجاهله، وأن استجابته لأمر الله «المؤلم فى وضوحه»، القاضى أن يفعل ما فعل، شبيهة باستجابة «إبراهيم» واستعداده غير المتردد لأن يضحى بابنه «إسحق» إذا أمره الله بأن يفعل ذلك، «وإن كان إبراهيم لم ير الغاية النافعة أو الراشدة من وراء عمله»(٢).

محاولات

وعلى هدى من التوجيهات الإلهية المزعومة هذه، تعددت محاولات تخريب وتدمير المسجد الأقصى، أو إحراقه، على مر ربع القرن الأخير، على أيدى الجماعات الأصولية اليهودية، بل وتكونت تنظيمات خاصة عديدة احتوى برنامجها نقطة واحدة فقط: هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل فى موقعه*.

(1) Nekuda, Israel, No. 88, June 24, 1985, p. 24.

(2) Nekuda, Israel, No. 75, July 6, 1984, P. 234 & Nekuda Israel, No. 93, November 22, 1985, P. 22.

* مذكورة فى: إيان لوستك، مصدر سبق ذكره، ص ص: ١١٢ ـ ١١٣.

ومن أبرز العمليات التى جرت، منذ عام ١٩٦٧ حتى منتصف عقد التسعينيات الماضى، لتنفيذ هذه الخطة، ما يلى:

- فى الحادى والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٦٩، أشعل مجموعة من المتطرفين اليهود النار بالمسجد الأقصى مما أسفر عن إحراق الجناح الشرقى منه بالكامل، وكذلك إحراق السقف الجنوبى للمسجد ومنبر السلطان نور الدين ومنبر ومحراب صلاح الدين، وقد نفذ عملية الحريق اليهودى من أصل استرالى «مايكل دوهان»، مستعيناً بعصابة إرهابية يهودية.

- فى عام ١٩٧٦ حاول أربعون يهودياً اقتحام المسجد الأقصى وإقامة الصلاة عنوةً فيه.

- فى يناير ١٩٧٧ هاجمت مجموعة يهودية مسلحة بكميات هائلة من المتفجرات، التى يستخدمها الجيش الإسرائيلى، المسجد الأقصى، وقالت صحيفة «هآرتس» يومها إن مصادر إسرائيلية اعترفت باشتراك عناصر من الجيش فى تنفيذ هذه العملية التى كان هدفها تفجير المسجد الأقصى، وسبق الهجوم بيان من منظمة معروفة باسم «تى إن تى»* أعلن فيها زعيمها الحاخام «مردخاى إلياهو» أن على الحكومة الإسرائيلية بناء «هيكل سليمان» على أنقاض المسجد الأقصى دون إبطاء.

- فى شهر مايو عام ١٩٨٠ وضع الإرهابى الشهير الحاخام «مائير كاهانا» أكثر من طن من المتفجرات داخل المسجد الأقصى، وقد حوكم «كاهانا»، مع مساعده «باروخ جرين»، وعوقبا بالحبس ستة أشهر فقط.

- فى ٢٧ يناير عام ١٩٨٣ جرت محاولة فاشلة لنسف المنطقة المحيطة بالمسجد.

- وفى ٥ مارس عام ١٩٨٣ اكتشف الحراس عبوة ناسفة ضخمة بجوار المسجد الأقصى، استهدف واضعوها تدميره.

* إرهاب فى مواجهة إرهاب»، أى الإرهاب الصهيونى فى مواجهة (الإرهاب) العربى المزعوم.

ـ فى يوم ١٠ مارس عام ١٩٨٣ قامت مجموعة تضم ٤٥ يهودياً من أتباع ثلاث منظمات إرهابية، هى «جوش إيمونيم» و«كاخ» و«أمناء جبل البيت»، باقتحام المسجد الأقصى من خلال ثغرة أحدثتها الحفريات التى تجريها سلطات الاحتلال الصهيونى تحت أساساته، وقد تَزَعَّمَ الهجوم الإرهابيان «مائير كاهانا» و«إسرائيل آرائيل»، رئيس «مجلس المستوطنات اليهودية» فى الضفة.

ـ فى ٢١ مارس عام ١٩٨٣ كشفت «لجنة الدفاع عن المسجد الأقصى» عن جمعية باسم «صندوق جبل البيت» تم تشكيلها فى فلسطين المحتلة وولاية كاليفورنيا الأمريكية، هدفها هدم المسجد الأقصى، وتضم الجمعية جماعة «جوش إيمونيم» الإرهابية، والنائبة الإسرائيلية المتطرفة «جيئولا كوهين»، ويتزعمها «تيرى إيزنهور» و«ستانلى جولدفوت»[١].

ـ فى الثانى من إبريل عام ١٩٨٣ تجمع عدد مئات من اليهود لاقتحام المسجد الأقصى وإقامة شعائرهم فيه، وتحرَّشوا بالمصلين واعتدوا عليهم، وقد نقلت وكالات الأنباء صوراً لهذا الحدث.

ـ فى ١٤ يناير عام ١٩٨٦ قامت مجموعة من أعضاء الكنيست باقتحام المسجد الأقصى والعبث بمحتوياته.

ـ وفى العام نفسه، يوم ٧ يونيو، اقتحم ٣٠ يهودياً من أعضاء منظمة «جوش إيمونيم» الإرهابية المسجد الأقصى، وأقاموا احتفالاً دينياً بجوار حائط المبكى، إحياء لما سمى بـ «توحيد القدس».

ـ فى ١٥ يناير ١٩٨٨، اقتحمت عناصر مسلحة من قوات «جيش الدفاع الإسرائيلى» المسجد الأقصى، وقتلت ٢٨ مواطناً فلسطينياً وأصابت ١١٥ آخرين بجروح[٢].

---

(١) مازن الشوا، قبل أن يحل هيكل سليمان محل المسجد الأقصى، جريدة «الأخبار»، القاهرة، ١٠/٨/١٩٩٥.

(٢) المصدر نفسه.

- فى يوم ٢٨ إبريل عام ١٩٨٩ نظمت منظمة «جوش إيمونيم» الإرهابية، مسيرة لاقتحام المسجد الأقصى، شارك فيها بضعة آلاف، ويومها أطلق مفتى القدس الراحل «سعد الدين العلمى» نداء من فوق المنابر والمآذن يدعو المسلمين إلى الدفاع عن الحرم، فاندفع آلاف من أبناء القدس إلى المسجد، واقترشوا ساحاته، ونشبت بينهم وبين الصهاينة معارك شوارع عنيفة.

- فى يوم ٨ أكتوبر عام ١٩٩٠ تزعم الإرهابى «جروشون سلمون» جماعة أمناء جبل الهيكل، فى محاولة لاقتحام الحرم القدسى، فتصدى لهم المصلون، وتدخلت قوات الاحتلال وأطلقت النار، حيث استشهد ٢٢ من المصلين وأصيب المئات منهم، سقطوا مدرجين بدمائهم فى ساحة المسجد الأقصى، فى مذبحة بشعة، استنكرها العالم كله.

وحين عُرضت المسألة على مجلس الأمن، قال المندوب الإسرائيلى إن القوات الصهيونية كانت فى موقف الدفاع عن النفس، وكانت المفاجأة عندما عرض مندوب فلسطين شريط فيديو التقطه سائح غربى تصادف وجوده فى فندق مجاور للحرم، وكشفت وقائع الشريط، بالصوت والصورة، كيف اقتحمت القوات الإسرائيلية المسجد عنوة وأطلقت النار على المصلين.

«يومها - كالعادة - أصدر مجلس الأمن قراراً بإدانة إسرائيل، ولم تتمكن الولايات المتحدة إزاء الدليل الدامغ من استخدام حق الفيتو لإسقاط القرار»[1].

- وفى ذات الفترة أقدمت جماعة «جوش إيمونيم» على حفر نفق يمتد من حائط البراق حتى ساحة القدس الشريف، وقد أبطل حراس المسجد من المسلمين هذه المحاولة.

وحتى بعد توقيع اتفاقيات (السلام) الإسرائيلى - الفلسطينى، لم تتوقف عمليات الاعتداء على المقدسات الإسلامية والمسيحية فى الأرض المحتلة.

---

(١) انظر: تقرير إخبارى فى الذكرى الـ ٢٦ لحريق المسجد الأقصى، القاهرة، جريدة الاهرام، ١٩٩٥/٨/٢٠، مجلة «الشاهد»، قبرص، العدد (١١٢)، ديسمبر ١٩٩٤.

ـ ففى أغسطس عام ١٩٩٥ سمحت المحكمة العليا الإسرائيلية لجماعة من «أمناء جبل الهيكل» بزيارة المسجد الأقصى والقيام بطقوسها الدينية فى حرمه، وهو ما رفضه الشعب الفلسطينى، ورأوا فيه استفزازاً كبيراً، مما دفع الأمين العام لرئاسة السلطة الفلسطينية، «الطيب عبد الرحيم» إلى التصريح بأن مجلس وزراء السلطة الفلسطينية أدان قرار المحكمة العليا الإسرائيلية المذكور، مؤكداً أن القدس، بمقدساتها الإسلامية والمسيحية، هى أراضٍ محتلة. ليس للمحكمة العليا الإسرائيلية أية سلطة عليها، ولا يجوز لها تقرير وضعها أو البت فى شأنها، وفى الوقت ذاته دعت «وزارة الإعلام والثقافة الفلسطينية» المواطنين والمسلمين فى القدس إلى التوجه إلى المسجد الأقصى والصلاة فيه، فى مواجهة قرار المحكمة الإسرائيلية.

جهود مستمرة:

ولم تنقطع الجهود المستمرة والمنظمة من قبل إسرائيل الدولة والأصوليين فيها، من أجل تهيئة الظروف للانتزاع النهائى للمسجد من أيدى المسلمين، وهدمه لإنشاء «الهيكل الثالث» محله، ومن أبرز هذه الجهود:

١ ـ إعداد المهندس الإسرائيلى «مائير بن دوف»، بتكليف من الأوساط الأصولية المتطرفة من بين يهود إسرائيل، والمتعاطفين مع توجهاتهم خارجها، لمخطط هندسى متكامل للهيكل المزعوم.

٢ ـ وفى أوائل عقد التسعينيات أعلنت جماعة أصولية يهودية، اسمها «المركز الماسى العالمى»، ومركزها «القدس»، عن بدء حملة لجمع تبرعات من يهود إسرائيل والديسابورا «الشتات»، لإعادة بناء الهيكل فى موقع المسجد الأقصى، وقد وُزعت فى تلك الآونة صورة، أنجزت بطريقة «الفوتو مونتاج الإليكترونى»، تم فيها نزع المسجد الأقصى من موقعه المشهور، وتركيب صورة متوهمة للهيكل فى مكانه.

٣ ـ فى شهر مايو ١٩٩٥، انفجرت ضجة عارمة عقب قرار إسرائيل

بمصادرة مساحات جديدة من الأراضى الفلسطينية بمدينة القدس المحتلة، وفى اجتماع «ياسر عرفات»، مع وزراء السلطة الفلسطينية، يوم السبت ٢٠ مايو، عرض (الرئيس) الفلسطينى خريطة إسرائيلية «وصلته من مصادر موثوقة»، توضح الخطة الإسرائيلية التى تعد لها إسرائيل، لتحديد مستقبل القدس، وتبين الخريطة المصورة «قيام الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى وقبة الصخرة»[١].

٤ ـ وشهدت الأيام الأخيرة من شهر نوفمبر، عام ١٩٩٥ محاكمة متطرف أصولى إسرائيلى، هو «إيال كينى»، (٢٥ عاماً)، بتهمة الإعداد لإطلاق صاروخ على مسجد الصخرة قرب المسجد الأقصى، بعد أن تدرب على الأمر مراراً فى أرض خلاء، وقد أعلن «إيال»، الذى عُثر فى منزله على أسلحة وصور لفدائيين فلسطينيين مطلوبين للأمن الإسرائيلى، بأن «قانون التوراة يجب أن يسود على القانون المدنى فى إسرائيل»، وقد صاح مواجهاً المحكمة: إنه هراء تماماً.. أنا لا أقبل حكمكم، ولا ألتزم إلا بأحكام الشريعة.. فما علاقة القانون البريطانى بى[٢].

٥ ـ وفى أواخر عام ١٩٩٥، أعلنت إسرائيل الاستمرار فى إجراء حفريات أثرية تحت المسجد الاقصى، الغرض منها البحث عن بقايا الهيكل المزعوم، وهى الحفريات التى تضعف من أساسات المسجد وتهدد بانهياره، وتجىء هذه المساعى مواكبة لما كشفته وسائل الإعلام عن خفايا الخطة المسماة «عميق هميلخ»، والتى تستهدف إحكام السيطرة على الجزء الجنوبى من القدس، والعمل على إقامة منطقة سياحية فى الناحية الجنوبية للحرم القدسى، وكذلك فى منطقة سلوان، وقد أذاع التليفزيون الإسرائيلى، فى تلك الأيام، برنامجاً دعاتياً، بثه تحت عنوان «القدس لا تنتظر»[٣]، كشف فيه الخطط

(١) جريدة «الأهالى»، القاهرة، ١٩٩٥/٥/٢٤.

(٢) جريدة «يديعوت أحرونوت»، الإسرائيلية، ١٩٩٥/١١/٣٠.

(٣) جريدة «الحياة الدولية»، لندن، ١٩٩٥/١٢/٢٠.

الصهيونية الرامية إلى الاستيلاء على الأراضى العربية وتهديدها، وزيادة أعداد السكان اليهود فى القدس، لكى يشكلوا أغلبية ديموجرافية فيها، وهو ما يمهد لحسم الموضوع الشائك المعلق: موضوع هدم المسجد وبناء الهيكل.

معهد بناء الهيكل:

على مستوى «استراتيچى» آخر، فإن واحدة من أخطر خطوات الإعداد الأصولى اليهودى لهدم المسجد وبناء «الهيكل الثالث» محله، تلك المتعلقة بإنشاء المؤسسة التى أُطلق عليها اسم «معهد بناء الهيكل».

وهذا المعهد أُنشئ عام ١٩٨٦ فى «القدس القديمة» بمبادرة من الحاخام المتطرف «إسرائيل آريئيل»، وبدعم من عدد من «اليهود القوميين المتدينين»، والحاخام «آريئيل» كان من أشد المعارضين لإخلاء مستعمرة «ياميت»، وهو أحد دعاة الأصولية العنصرية اليهودية، ورعاتها، الذين يغطون بفتاويهم الدينية أعمال الإرهاب ضد العرب، وقد أيد هذا الحاخام، «باروخ جولد شتاين» سفاح الحرم الإبراهيمى، باعتباره «شهيد حرب من أجل أرض إسرائيل»، مبرراً جريمته بالقول «إن هؤلاء القتلى (العرب)، الذين يقال عنهم أبرياء، كانوا قد ذبحوا أناساً أبرياء من اليهود، من الشيوخ والنساء والأطفال عام ١٩٢٩»، كما يعتبر الحاخام «آريئيل» واحداً من المتعصبين الداعين لهدم المقدسات الإسلامية وبناء الهيكل اليهودى فى موقعها، ومن نشاطاته فى هذا السياق كتاب «أوديسا المعبد الثالث»، الذى أصدره باللغة الإنجليزية، شارحاً فيه مكونات الهيكل وأدواته وتاريخه وأهميته لليهود، «وكرمز لفكرة ذات أهمية عظمى وُجدت حتى قبل خلق الكون»[١]، كما يؤكد على ضرورة بناء الهيكل، دون انتظار ظهور «المخلِّص»، «إذ إن فريضة البناء مازالت حيّة بين اليهود، وهى واجبة على كل جيل وتنتظر من يطبقها»[٢].

(١) انظر: جعفر هادى حسن، معهد بناء الهيكل يباشر بإعداد المعدات واللوازم، جريدة «الحياة» الدولية، ١٩٩٤/٧/٦.

(٢) المصدر نفسه.

و«معهد الهيكل» يضم أكثر من عشرين باحثاً وعالماً فى مختلف فروع المعرفة، وهم يستخدمون الحاسب الآلى والتكنولوجيا المتطورة لبرمجة كافة المعلومات المتعلقة بأدوات الهيكل وأوانيه ومستلزماته وشعائره، والمكونات التى تدخل فى إنتاجها، كما صنعوا العطور التى ستستخدم فى طقوسه، بحسب النصوص والصفات التوراتية القديمة، وهم يعرضون هذه الأشياء فى صناديق زجاجية، «لا كما تعرض محتويات المتاحف ـ على حد تعبير الحاخام «حاييم ريتشمان»، المتحدث الرسمى باسم المعهد ـ وإنما «من أجل أن يعرف الناس بأن عملية بناء الهيكل قد بدأت»، كما يشير إلى أن الخطط المعمارية للهيكل، وتفاصيل شكله وحجمه «قد وضعها الاختصاصيون فى ضوء ما ورد عنه فى التلمود من مواصفات»[1].

ومن الجدير بالذكر أن هذا المعهد يعتمد فى تمويله على منح من مؤسسات إسرائيلية رسمية مثل وزارة السياحة، ووزارة الشئون الدينية، ووزارة التربية، وبلدية القدس، وغيرها من المؤسسات الرسمية للدولة الإسرائيلية.

سيناريو الحرب المقدسة الآتية:

وهكذا فالمتتبع لتطورات الصراع الداخلى فى إسرائيل حول قضية إعادة بناء الهيكل، يمكنه أن يلاحظ أن التناقض بين الطرف الأصولى والسلطة السياسية، فى هذا الشأن، ليس خلافاً حول المبدأ بقدر ما هو اختلاف حول تحديد التوقيت المناسب لتنفيذ المهمة المتفق عليها، فالطرفان مشتركان فى الإقرار بالضرورة المطلقة لهذا الأمر، لكن الطرف الأصولى يريد إنجاز هذه المهمة الآن، وفوراً وبصرف النظر عن النتائج أو العواقب، فيما يرى الطرف الصهيونى، السياسى، ضرورة إبداء المزيد من التريث والتستر، حتى لا يتسبب مثل هذا الأمر فى انفجار بركان الغضب العربى والإسلامى، الذى قد يحرق إسرائيل بويلاته.

(١) المصدر نفسه.

وفى وقت إعداد هذه الطبعة الجديدة من الكتاب للنشر، نشرت صحيفة «كل العرب» التى تصدر فى مدينة «الناصرة» الفلسطينية، صوراً وأخبار لتدريبات قامت بها الشرطة الإسرائيلية، فى منطقة «اللد»، جنوبى «تل أبيب» استعداداً لاقتحام المسجد الأقصى والسيطرة عليه، تحقيقاً لما وصفته بـ «أحلام صهيونية بإحلال الهيكل المزعوم محل الحرم الشريف».

وذكرت «كل العرب» على موقعها الإليكترونى، (مع الصور الدالة)، أن التدريبات تجرى على مُجَسّم لمسجد قُبّة الصخرة، وأوضحت أن الشرطة تستخدم فى هذه التدريبات عدداً كبيراً من الحافلات والآليات، وفى لقاء مع قناة «الجزيرة»، لم يستبعد رئيس تحرير موقع صحيفة «كل العرب»، «يوسف شدّاد»، الإقدام على اقتحام المسجد الأقصى، كما أصدرت «مؤسسة الأقصى للوقف والتراث» بيانا أكدت فيه هذه الأخبار، وأشارت إلى أن أعدادًا كبيرة من قوات الاحتلال المتنوعة «تجرى تدريبات واسعة، فيما يبدو تحضيراً لأحداث جسام ستحدث فى المسجد الأقصى»، ونشرت المؤسسة عدداً من الصور التى تبين تجمعات القوات الإسرائيلية، التى تُقَدَّرُ بالآلاف، وداخل المعسكر مُجَسَّم لقبة الصخرة المشَّرفة، وآخر للمسجد الأقصى وبجانبه مُجَسَّم للهيكل المزعوم[1].

والواقع «إن تدمير الأماكن الإسلامية المقدسة فى جبل الهيكل، على نحو ما يرى «دورون روزنبلوم»، الصحفى الإسرائيلى البارز، ليس إلا «مسألة وقت»، أما عواقبه فستكون وخيمة، كما يتصورها، فى «السيناريو» التالى:

«الإلغاء الفورى لمعاهدة الصلح مع مصر،.. تظاهرات عفوية فى كل الدول العربية، تقارير إخبارية على الشبكات الأمريكية تفيد عن إعلانات الحرب من قبل العالم العربى كله،.. تعبئة الاحتياط.. فى غمرة تقارير عن

(١) غادة حمدى، جيش الاحتلال يتدرب على احتلال الأقصى بالآليات والقنابل وآلاف الجنود، ٢٠١٠/٧/٢٣ صحيفة «المصرى اليوم».

التوترات على الجبهات الأربع كلها، تدفق القوات المصرية إلى سيناء، إطلاق نار فى الجولان ووادى الأردن، معارك جوية مع طائرات إيرانية، سعودية، ليبية، عراقية، وسورية،.. شائعات عن تذبيح اليهود السوريين.. حرب عصابات على الأراضى المحتلة بين العرب والمستوطنين، «مجازر» ستسمى فوضى تامة، تَدَّخُل القوتين العظميين وحرب تستمر شهوراً أو سنوات»[1].

■■■

(1) DORON ROSENBLUM, The Temple Mount will Be Blown Up, Koteret Rashit, Israel, No. 131, November 1, 1987, pp. 20 - 21.

مذكورة فى: إيان لوستيك، مصدر سبق ذكره، ص: ١٩٠.

obeikan.com

«هنالك وقت للتطبيب ووقت للقتل.. لن نترك الخليل مهما يكن من أمر.. إننا نغش أنفسنا عندما نفكر بأهمية التعايش مع العرب. إنه غير ممكن.. إنهم مرض.. والجيش الإسرائيلى يخطئ عندما يمنعنا من الانتقام منهم ويمنعنا من تخويفهم.. لابد أن نطردهم: إنهم نازيو اليوم».

«باروخ جولد شتاين» سفاح الحرم الإبراهيمى
من آخر حديث أجراه معه الصحفى الأمريكى
توم روبرتس».

obeikan.com